ويقف منهم جميعا موقفا عنصريا . أما كيف يستخرج مزراحي من هذه العنصرية العامة ، عنصرية خاصة (اللاسامية) فأمر غير واضح ، لا بل مغبرك كليا .

وبالنسبة لبرودون ايضا ، «يكتشف» مزراحي الاصول الدينية للاساميته ، ويدخل معه في نقاش حاد حول التوراة وقصصها ، معتقدا ، او محاولا دفعنا للاعتقاد ان المعركة تدور فعلا في هذا الميدان . ولا ينسى مزراحي ان يشير الى ان لاسامية ماركس هي أخطر من لاسامية برودون لانها « وحدت » بين اليهود والرأسمالية .

بعد كل ما تقدم ، يعود مزراحي ليرفض وجود علاقة سببية بين المسيحية واللاسامية ، قائلا بأن اللاسامية هي ، في النهاية ، خيار شخصي مسؤول عنه صاحبه (انها المقدمة الضرورية لادانة ماركس) . ويقدم كمثال على ما يقول مفكرين اشتراكيين مسيحيين : قسطنطين بيكورPecqueur واتيان كابيه Cabet ، فهذان يعرفان التوراة ويمتنعان عن مهاجمتها ومهاجمة اليهود ، لا بل يقدران تقديرا عاليا بعض المعاني الاشتراكية ، وحتى الشيوعية — الطوباوية بالطبع — للعناصر الرئيسية في المؤسسات السياسية والاجتماعية للعبرانيين .

يؤكد مزراحي ان اللاسامية خيار فردي كمقدمة للبرهنة على مسؤولية ماركس الشخصية (هذا الكلام يتضمن تغييب الظروف الموضوعية التي تفرز تيارات لاسامية في ظروف محددة).

مسؤولية ماركس عن اختياره الشخصي للاسامية مصدرها نمط علاقاته مع والديه . فقد حدث لماركس تماه identificationمع الاب المتحرر والمتحول عن اليهودية،واجتياف Interiorisation لصورة رديئة عن الام اليهودية المحافظة (لقد تأخرت في اعتناق البروتستانتية ، وكانت تردد دائما : من الافضل لكارل ان يجمع رأسمالا عوض ان يتأمل حول الرأسمال). هذا التماهي مع الاب ولد لدى ماركس عقدة الذنب ، اذ ان والده ينتمي الى ذلك الجيل من اليهود المتحالف مع الحكومة الالمانية الرجعية ، والصامت عن «مجازر» ١٨١٩ ضد اليهود . عقدة الذنب هذه مكبوتة بالطبع اذ ان التماهي مع الاب هو تماه « لاواع » ، كبت هذه العقدة لا يعني ، على الاطلاق ، الغاءها . فهي تظهر باشكال اخرى مناقضة للواقع في أغلب الاحيان . وهكذا تحول الشعور بالتواطؤ مع الرجعية الالمانية الى عقدة ذنب مكبوتة ، ظهرت على شكل حقد غريب على اليهود الرجعيين .

وتدخل عوامل اخرى في سياق هذا التحليل السيكولوجي . فماركس اذ عبر عن حقده على اليهود كان يعرف انه يخاطب جمهورا ثوريا « لاساميا » لا بل كان يسعى الى مخاطبة هذا الجمهور ، ليأخذ منه « بطاقة مرور » الى عالم الثوريين الفرنسيين « اللاساميين ». فماركس لم يكن يعتقد بامكانية التوفيق بين اليهودية والثورية وهذا هو مصدر حقده على اليهود ، وعلى اليهود الثوريين بشكل خاص : موزس هس مثلا . فهذا الاخير كان ثوريا وكان يفاخر بكونه يهوديا ، متهما الانتلجنسيا اليهودية بالجبن والهرب ، مما ولد ردة فعل عنيفة لدى ماركس ودفعه الى المزيد من الحقد على اليهود عامة ، وعلى هس هذا خاصة .

المدخل لمناقشة هذا التحليل النفسي لماركس هو قول مزراحي : « لا يمكن لعلم النفس ان يفسر عقيدة ما ، ولكن يمكنه ان يفسر موقفا انفعاليا ، عاطفيا كموقف ماركس من اليهود . اذا ، عملية فصل « المسألة اليهودية » عن التراث الماركسي مستمرة . وهي مرفوضة من قبل كافة الماركسيين مع ان العديدين بينهم يطرحون اسئلة حول أهمية هذا الاثر لماركس الشاب الخارج حديثا من اليسار الهيغلي . الا ان رفض اطروحة العزل المزراحية هذه لا يكفي . فالمطلوب هو دراسة جدية وعلمية توضح علاقة « المسألة اليهودية » كعمل من أعمال فترة الشباب ، مع مجمل النظرية الماركسية المتكونة في جدل عنيف مع الممارسة .

ونختتم عرضنا ومناقشتنا لكتاب مزراحي « ماركس والمسألة اليهودية » ، هذا الكتاب الذي اراده صاحبه كتابا سجاليا ، اقناعيا بدليل اسلوبه وطريقة عرضه ، بفقرتين تعبران عن وجهة النظر المزراحية في المسألة اليهودية .

جاء في الصفحة ٩٠ من الكتاب : « في القرن العشرين فقط ، ومع بوروخوف ، انتجت الحركة العمالية اليهودية ماركسية صهيونية ، ونظرية ماركسية لكل من المجتمع اليهودي وتاريخ